خدمة المسلمين دليل حُسْنِ إسلام المرء

(خطبة جمعة 23 من ربيع الأول 1435هـــ الموافق لــ 24 جانفي 2014م

لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله –)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا،

" . . . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿17﴾ " سورة الكهف.

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ "سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – ،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، حديثنا في هذه الجمعة المباركة بعنوان:

خدمة المسلمين دليل حُسْنِ إسلام المرء

أخبرنا ربّنا جلّ جلاله عن صحابة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – فقال:

" **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿23﴾** " **سورة الأحزاب.**

" **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ . . . ﴿29﴾** " **سورة الفتح.**

" . . . **هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿62﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿63﴾** " **سورة الأنفال.**

هؤلاء هم الصّحابة – رضوان الله عليهم – قدوتنا ومثلنا الأعلى، صِدْقٌ مع الله تعالى، ثباتٌ على الإسلام والإيمان، لم تفسد طبعهم رغبةٌ من رغبات الدّنيا، و لم تغيّرهم رهبةٌ أو محنةٌ من محنها.

أخوّتهم تمثّلت في إيثار كلّ واحدٍ غيره:

" . . . **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . . . ﴿9﴾** " **سورة الحشر.**

وتمثّل في علاقتهم قوله – صلّى الله عليه وسلّم – : (**لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه**).

صِدْقٌ مع الله، صِدْقٌ مع النّفس وصِدْقٌ مع النّاس.

معاشر المسلمين،

إنّ الّذي أفسد النّاس فتغيّروا من الصّدق إلى النّفاق، ومن الإستقامة إلى الإنحراف، ومن الطّاعة إلى المعصيّة، ومن الجدّ في الطّاعة إلى التّفريط في الواجبات، هي زخرف وزينة الحياة الدّنيا، ولذلك قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (**لا أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدّنيا فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم**).

روى مسلمٌ عن عائشة قالت: { سمعت رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – يقول في بيتي: (**اللّهمّ من وُلِّيَ من أمرِ أمّتي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به، ومن وُلِّيَ من أمر أمّتي شيئاً، فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه**) }.

معاشر المسلمين، إنّ كثيرًا من النّاس يشكون اليوم ممّن كان مفروضًا عليهم أن يخدموهم، ويقوموا على حوائجهم، لكنّ هؤلاء آثروا أنفسهم وأهلهم ومن لهم معهم مصالح، وفرّطوا فيمن كلّفوا بخدمتهم وقضاء حوائجهم، فتعالوا نرى كيف كان حال الصّحابة في خدمة غيرهم، خاصّةً إذا اعتلوا المناصب وَوُسِّدَتْ لهم المسؤوليّات.

هو سعيدٌ بن عامرٍ الجُمَحِي، خرج إلى التّنعيم في ظاهرة مكّة بدعوةٍ من قريشٍ، وشهد مصرع خُبَيْبٍ بن عَدِيٍّ – رضي الله عنه – أحد الصّحابة، بعد أن ظفر به المشركون غدرًا، وقد رأى أسير قريشٍ مكبّلاً بقيودٍ يُسَاقُ إلى الموت،

وسمع صوت خُبَيْبٍ الثّابت الهادئ يقول: (**إن شئتم أن تتركوني أُصَلِّي ركعتين قبل مصرعي، فافعلوا**).

ثمّ يسمعه يقول: (**لولا أن تظنّوا أنّي أطلت الصّلاة جزعًا من الموت، لاستكثرت من الصّلاة**)،

ثمّ رآهم وهم يمثّلون به، ويقطّعون منه القطعة تلو الأخرى، ويقولون له: (**أتحبّ أن يكون محمّدٌ مكانك، وأنت نَاجٍ؟**)،

فيقول والدّماء تنزف: (**والله ما أحبّ أن أكون آمنًا وادعًا في أهلي وولدي، وأنّ محمّدًا يوخز بشوكةٍ**)،

ثمّ قال: (**اللّهمّ أَحْصِهِمْ عددًا، واقتلهم بَدَدًا، ولا تبقي منهم أحدًا**)، ثمّ خرجت روحه - رضي الله عنه- .

سعيدٌ هذا رأى الحادثة كلّها، وكانت له درسًا كبيرًا، فعلم أنّ الحياة الحقّة هي عقيدةٌ وتضحيةٌ، وصبرٌ في سبيل الله، وإيثار الآخرة على الدّنيا، وأنّ الإيمان القويّ لا يزلزله شيءٌ، ثمّ انشرح صدره للإسلام.

فقام في مجمعٍ من النّاس، وأعلن براءته ممّا عليه المشركون من عبادة الأصنام، وهاجر إلى المدينة، وشهد خيبر مع الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم - وباقي الغزوات.

ولما آلت الخلافة إلى عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - ، أتاه سعيدٌ فقال له : (**يا عمر، أوصيك أن تخشى الله في النّاس، ولا تخشى النّاس في الله، وأن لا يخالف قولك فعلك، فإنّ خير القول ما صدّقه الفعل، يا عمر، أقم وجهك لمن ولاّك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم، وَأَحِبَّ لهم ما تحبّ لنفسك وأهل بيتك، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، وَخُضْ الغمرات إلى الحق، ولا تخف في الله لومة لائمٍ**)،

فقال عمر: (**ومن يستطيع فعل ذلك يا سعيد؟**)،

فقال: (**يستطيعه مثلك، ممّن ولاّهم الله أمر أمّة محمّدٍ**)،

عند ذلك دعا عمر سعيدًا إلى مساعدته، فقال: (**إنّا مُوَلُّوكَ حِمْصَ**)،

فقال: (**يا عمر، نشدتك الله أن لا تفتنّي**)،

فغضب عمر وقال: (**ويحكم! وضعتم هذا الأمر في عنقي، ثمّ تخلّيتم عنّي، والله لا أدعك**)،

ثمّ ألزمه بحمص وقال: (**ألا نفرض لك رزقًا؟**)،

قال: (**وما أفعل به يا أمير المؤمنين؟ فإنّ عطائي من بيت المال يزيد عن حاجتي**).

يَفِرُّ من الحلال خشية أن يفتنه، والنّاس اليوم يهرعون إلى الحرام الخالص ولا يخافون، يُخْشَى على كثيرٍ من النّاس اليوم أكلها لأموال النّاس بالباطل.

ثمّ مضى واليًا على حمص، فجاء بعض أهل حمص إلى عمر، فقال: (**اكتبوا أسماء الفقراء عندكم بحمص، حتّى أَسُدَّ حاجتهم**)،

فرفعوا له كتابًا فيه بعض الفقراء، ومن جملتهم سعيدٌ بن عامرٍ الجمحي – رضي الله عنه – ، فقال عمر: (**من سعيدٌ؟**)،

فقالوا: (**أميرنا**)،

قال: (**أميركم فقير؟**)،

قالوا: (**نعم**)،

قالوا: (**والله إنّه ليمرّ عليه الأيّام الطّوال، ولا يوقد في بيته نارٌ**).

فبكى عمر بكاءًا شديدًا، حتّى بلغت دموعه لحيته، ثمّ بعث له بألف دينارٍ، فجعل سعيدٌ لّما وصلته يبعده عنه ويسترجع، فقالت له زوجته: (**أمات أمير المؤمنين؟**)،

قال: (**بل أعظم من ذلك**)،

قالت: (**وما ذاك؟**)،

قال: (**دخلت عليّ الدّنيا لتفسد آخرتي، وحلّت الفتنة في بيتي**)،

قالت: (**تخلّص منها!**)،

قال: (**تعينينني؟**)،

ثمّ لم يمض إلاّ مدّةً يسيرةً، حتّى أتى عمر إلى حمصٍ يتفقّدها، ويسأل عن أميرهم وسيرته معهم، وهل نقموا عليه شيئًا، فذكروا أربع مسائل:

1- أولاها: قالوا: (**إنّه لا يخرج إلينا حتّى يتعالى النّهار**)، فسأل عمر سعيدًا لماذا، فقال: (**إنّي أكره أن أقول ذلك، وما دام لا بدّ، فإنّه ليس لأهلي خادمٌ، فأقوم الصّبح فأعجن لهم عجينهم، ثمّ أنتظره يختمر، ثمّ أقوم فأخبزه، وأتوضّأ فأخرج لهم**).

2- وأمّا الثّانية: فقالوا أنّه لا يجيب أحدًا باللّيل، قال: (**لقد جعلت النّهار لهم، ولربّي عزّ وجلّ اللّيل**)، هو ما جعل اللّيل والنّهار لنفسه.

3- الثّالثة: أنّه لا يخرج يومًا من كلّ شهرٍ، فقال: (**ليس لي خادمٌ، وليس عندي ثيابٌ غير الّتي عليّ، فأنا أغسلها في الشّهر مرّةً، وأنتظرها حتّى تجفّ، ثمّ أخرج إليهم آخر النّهار**).

4- وأمّا الرّابعة: تصيبه غشيةٌ في بعض الأوقات، فيغيب عن المجالس، فقال: (**حضرت مصرع خُبَيْبٍ وأنا مشركٌ، ورأيت قريشًا تقطّع جسده، فإذا**

ذكرت المشهد وأنّي لم أنصره، ظننت أنّ الله لا يغفر لي، فتصيبني تلك الغشية).

ما قالوا ضيّعنا، أو لم يعبّد لنا الطّريق، أو لم ينصفنا . . .

ثمّ بعث له عمر بألف دينارٍ يستعين بها على حوائجه، فقالت زوجته: (**اشْتَرِ لنا مئونةً، واستأجر لنا خادمًا**)،

قال: (**هناك خيرٌ من ذلك، نقرضها الله قرضًا حسنًا**)، فما قام من مجلسه حتّى وزّعها على الأيتام والأرامل والمساكين، هذا إيثاره وهذه سياسته للرّعيّة.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه،

وأشهد أن لا إلـٰـه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

عباد الله، تزوّدوا للرّحيل، فقد دنت الآجال، واجتهدوا ليوم الفراق، فقد قرب الإرتحال، ومهّدوا لأنفسكم بصالح الأعمال، فإنّ الدّنيا قد آذنت بالفراق، وإنّ الآخرة قد أشرفت، فتزوّدوا من دار الإنتقال إلى دار القرار.

لم يتفلّتوا إلى المظاهر، ولم تفسد المسؤوليّات طبائعهم، بل أدركوا أنّ المسؤوليّة ثقلٌ وعبءٌ كبيرٌ على كواهلهم، فأحسنوا التّصرّف بما يرضي الله تعالى.

إنّ مثل سعيدٍ كثيرٌ، إنّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان إذا دخل عليه رجلٌ سأله: (**أجئتني في حاجةٍ للمسلمين، أم حاجةٍ بيني بينك؟**)، فإن كانت حاجته تخصّه وعمر – رضي الله عنه – ، أشعل سراجه وأطفأ سراج بيت مال المسلمين.

وكان عمر بن عبد العزيز يصل يومه بليلته إن لم يقضي حوائج المسلمين، حتّى أنّه لم يقرب زوجته عامين، لانشغاله بهموم المسلمين وحوائجهم.

يمكننا أن نفهم جيّدًا قوله تعالى الآن:

" . . . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ

﴿8﴾ " سورة البيّنة.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هَدَيْتَ، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـنـًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج محنة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج محنة المصريّين،

اللّهمّ فرّج كربة المصريّين وسائر المسلمين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.